نزار قباني



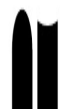
أشعارٌ خارجة علَى القانون

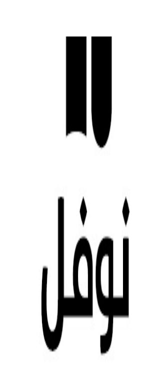


نزار قباني

أشعار خارجة

عن القانون




نوفل

صدرت عام 2015 عن **نوفل**، دمغة الناشر هاشيت أنطوان
الطبعة الثانية، 2017

سنّ الفيل، حرج تابت، بناية فورست
ص. ب. 0656-11، رياض الصلح، 2050 1107 بيروت، لبنان
info@hachette-antoine.com
www.hachette-antoine.com
facebook.com/HachetteAntoine
twitter.com/NaufalBooks

تصميم الغلاف والداخل: **بسكال زغبي**
اقتباس التصميم: **ماري تريز مرعب**
متابعة النشر: **نجلا رعيدي شاهين**

ر.د.م.ك. (النسخة الورقية): 978-9953-26-904-7
ر.د.م.ك. (النسخة الإلكترونية): 978-614-438-463-3

حبيبتي

لأنَّ من يُحبُّ في مدينتي مجنونْ..

لأنّهمْ في بلدي

يصنّفون الحبَّ في مرتبة الحشيش والأفيونْ

ويشنقونَ باسمِهِ..

ويقتلونَ باسمِهِ

ويكتبونَ باسمِهِ القانونْ

قرَّرتُ يا حبيبتي

قرَّرتُ أن أحترفَ الأشعارَ والجنونْ!!

نزار

منشور سرِّي جدًّا

العالمُ عِشْقٌ.. فاتَّحدوا يا أهلَ العشْقْ

ما زال أبو لَهَبٍ يتمطّى فوق وسائد هذا الشرقْ

يتسلّى في قَصِّ الحَلَماتِ..

وقطْعِ الثدي، وضَرْبِ العُنْقْ

فتلاقُوا مثلَ مياهِ البحر، وفيضُوا مثلَ نهور الشوقْ

وافترشوا أوراقَ الصفصاف، وناموا في أجفان البرقْ

فأنا ما زلتُ أقولُ لكمْ:

لا شيءَ سيبقى إلّا العشقْ..

لا شيءَ سيبقى إلّا العشقْ..

بَلاغ شِعرِيّ رقم ١

إيَّاكِ أن تتصوَّري..

أنّي أفكِّرُ فيكِ تفكيرَ القبيلةِ بالثريدِ

وأريدُ أن تتحوّلي حجرًا.. أُطارحُه الهوى

وأريدُ أن أمحو حدودَكِ في حُدودي

أنا هاربٌ من كلّ إرهابٍ يمارسه جدودُكِ أو جدودي

أنا هاربٌ من عصر تكفين النساءِ..

وعصر تقطيع النهودِ..

فَضَعي يديْكِ، كنجمتيْنِ على يدي

فأنا أحبُّكِ.. كي أدافعَ عن وجودي..

▪

إيّاكِ أن تتخيّلي..

أنّي أُفتِّشُ عن مغامرةٍ، وأسلابٍ، وعن غزوٍ جديد

أو تحسبي.. أنّي سأحكمُ في الفراش بمفردي

لا فرقَ عندي، إن أردتِ ولم تُريدي..

لا أنتِ من صنفِ العبيد، ولا أنا أهتمُّ في بيع العبيدِ

إنّي أحبُّكِ.. جدولًا.. وحمامةً

ونُبُوءةً تأتي من الزمنِ البعيدِ..

وقصيدةً.. وَعَدتْ ولم تحضرْ

ومكتوبًا غراميًّا يزقزقُ في بريدي..

وأنا أُحبُّكِ في طموح البحر، في غَزَل الرعودِ مع الرعودِ

وأنا أحبُّكِ في احتجاج الغاضبينَ،

وفرحةِ الأحرار في كسر الحديدِ

وأنا أحبُّكِ في وجوه القادمين لقتل هارون الرشيدِ..

هل تصبحينَ شريكتي.. في قتل هارون الرشيدِ؟

مُحاكَمة غَير شرعِيّة

إذا كانتْ مكاتيبي الغراميَّهْ

تُشَكِّلُ أيَّ عدوانٍ على أَحَدٍ..

إذا كانتْ مكاتيبي الغراميَّهْ..

بثورتِها..

وجُرْأتِها..

ونَبْرتها الطفوليَّهْ

ستقلبُ حَوْلَكِ الدنيا

وتقتلُ ألفَ درويشٍ..

وتُشْعِلُ ألفَ معركةٍ صليبيَّهْ..

فلا تستغربي أبدًا..

أيا عصفورةَ الصيف الرماديَّهْ

إذا أبصرتِ أوراقي..

معلَّقةً على بوّابة المُدُن النحاسيَّهْ

فإنَّ الحبَّ تحكمه سيوفُ الإنكشاريَّهْ

ولا تستغربي أبدًا..

إذا اغتالوا أزاهيري..

فهذا العصر يؤمنُ بالأزاهير الصناعيَّهْ..

ولا تبكي عليَّ إذا أدانوني

وقالوا عن كتاباتي: إباحيَّهْ

فكلُّ محاكم العشَّاق في وطني
محاكمُ غيرُ شرعيَّهْ..

بيروت والحُبُّ والمَطر

إنتقي أنتِ المكانْ..

أيَّ مقهى، داخلٍ كالسيف في البحر،

إنتقي أيَّ مكانْ..

إنّني مُستسلمٌ للبَجَع البحريِّ في عينَيْكِ،

يأتي من نهايات الزمانْ

عندما تُمطرُ في بيروتَ..

أحتاجُ إلى بعض الحنانْ

فادخُلي في معطفي المُبتلِّ بالماءِ..

ادخُلي في كنزة الصُوفِ..

وفي جلدي.. وفي صوتي..

كُلي من عشب صدري كحصانْ..

هاجري كالسمكِ الأحمرِ.. من عيني إلى عيني

ومن كفّي إلى كفّي..

ارسمي وجهي على كرّاسة الأمطار، والليل،

وبلّور الحوانيت، وقشْرِ السنديانْ..

طارحيني الحبَّ.. تحت الرعد، والبرقِ..

وإيقاع المزاريبِ.. امنحيني وطنًا في معطف الفرو الرماديِّ..

اصلبيني بين نهديْكِ مسيحًا..

عمِّديني بمياه الورد.. والآس.. وعطر البيلسانْ

عانقيني في الميادينِ..

وفوق الوَرَق المكسورِ، ضُمّيني على مرأى من الناسِ

ارفضي عصرَ السلاطينِ، ارفضي فتوى المجاذيبِ..

اصرخي كالذئب في منتصف الليلِ..

انزفي كالجرح في الثدي..

امنحيني روعةَ الإحساس بالموتِ..

ونُعمى الهذيانْ..

عندما تُمطر في بيروتَ..

تنمو لكآباتي غصونُ، ولأحزاني يدانْ

فادخلي في كنزة الصُوف.. ونامي

نحنُ تحتَ الماء يا نَخْلَةَ روحي.. نَخْلتانْ..

▪

ليس في ذهني قرارٌ واضحٌ..

فخذيني حيثما شئتِ..

اتركيني حيثما شئتِ..

اشتري لي صحفَ اليوم.. وأقلامَ رصاصٍ

ونبيذًا.. ودخانْ..

هذه كلُّ المفاتيح.. فقودي أنتِ..

سيري باتّجاه الريح والصُدْفةِ..

سيري في الزواريب التي من غير أسماءٍ..

أَحبِّيني قليلًا..

واكسري أنظمةَ السير قليلًا..

واتركي لي يدَكِ اليمنى قليلًا..

فذراعاكِ هما برُّ الأمانْ..

▪

ليس للحُب ببيروتَ خرائطْ..

لا ولا للعشق في صدري خرائطْ..

فابحثي عن شقّةٍ يطمرها الرملُ..

ابحثي عن فندقٍ لا يسألُ العشّاقَ عن أسمائهمْ..

سهِّريني في السراديب التي ليس بها..

غيرُ مُغَنٍّ وبِيانْ..

▪

قَرّري أنتِ إلى أينَ..

فإنَّ الحبَّ في بيروتَ مثلُ اللهِ في كلِّ مكانْ

شُكرًا

شكرًا لحُبّكِ..

فهْو معجزتي الأخيرةُ..

بعدما ولَّى زمانُ المعجزاتِ.

شكرًا لحُبّكِ..

فهو علَّمني القراءةَ، والكتابةَ،

وهْو زوَّدني بأروع مُفرداتي..

وهْو الذي شَطَب النساءَ جميعهنَّ.. بلحظةٍ

واغتالَ أجملَ ذكرياتي..

شكرًا من الأعماقِ..

يا مَنْ جئتِ من كُتُب العبادة والصلاةِ

شكرًا لخصرك، كيفَ جاءَ بحجم أحلامي، وحجم تصوّراتي

ولوجهكِ المندسِّ كالعصفور،

بينَ دفاتري ومذكِّراتي..

شكرًا لأنّكِ تسكنينَ قصائدي..

شكرًا..

لأنّكِ تجلسين على جميع أصابعي

شكرًا لأنّكِ في حياتي..

▪

شكرًا لحُبّكِ..

فهْوَ أعطاني البشارةَ قبلَ كلّ المؤمنينْ

واختارني مَلِكًا..

وتوَّجني..

وعمَّدني بماء الياسمينْ..

شكرًا لحُبّكِ..

فهو أكرمني، وأدَّبني، وعلَّمني علومَ الأوّلينْ

واختصَّني، بسعادة الفردوس، دونَ العالمينْ

شكرًا..

لأيَّام التسكّع تحت أقواس الغمام، وماء تشرينَ الحزينْ

ولكلِّ ساعات الضلال، وكلِّ ساعات اليقينْ

شكرًا لعينيكِ المسافرتينِ وحدَهما..

إلى جُزر البنفسجِ، والحنينْ..

شكرًا..

على كلِّ السنين الذاهباتِ..

فإنّها أحلى السنينْ..

▪

شكرًا لحُبّكِ..

فهْو من أغلى وأوفى الأصدقاءْ

وَهْو الذي يبكي على صدري..

إذا بكتِ السماءْ

شكرًا لحُبّكِ فهو مروحةٌ..

وطاووسٌ.. ونعناعٌ.. وماءْ

وغمامةٌ ورديّةٌ مرّتْ مصادفةً بخطّ الإسْتواءْ..

وهو المفاجأة التي قد حار فيها الأنبياءْ..

شكرًا لشَعْرِكِ.. شاغلِ الدنيا..

وسارقِ كلّ غابات النخيلْ

شكرًا لكلّ دقيقةٍ..

سمحتْ بها عيناكِ في العمر البخيلْ

شكرًا لساعات التهوّر، والتحدّي،

واقتطافِ المستحيلْ..

شكرًا على سنوات حبّكِ كلِّها..

بخريفها، وشتائها

وبغيمها، وبصحوها،

وتناقضات سمائها..

شكرًا على زَمَنِ البُكا، ومواسمِ السَهَر الطويلْ

شكرًا على الحزن الجميلْ..

شكرًا على الحزن الجميلْ..

خَربَشاتٌ طفولِيّة

خطيئتي الكبيرةُ الكبيرَهْ

أنّيَ، يا بحريّةَ العينينِ، يا أميرَهْ

أُحبُّ كالأطفالْ

وأكتبُ الشعرَ على طريقة الأطفالْ

فأشهرُ العشّاقِ يا حبيبتي

كانوا من الأطفالْ

وأجملُ الأشعار، يا حبيبتي

ألّفها أطفالْ..

خطيئتي الأُولى وليستْ أبدًا خطيئتي الأخيرَهْ

أنّي أعيش دائمًا بحالة انبهارْ

وأنّني مُهيَّأ للعشقِ يا حبيبتي

على امتداد الليل والنهارْ..

وأنَّ كلَّ امرأةٍ أحبُّها..

تكسرني عشرينَ ألفَ قطعةٍ

تجعلني مدينةً مفتوحةً..

تتركني – وراءها – غُبارْ

خطيئتي..

أنّي أرى العالمَ يا صديقتي

بمنطق الصغارْ

ودهشة الصغارْ..

وأنّني أقدرُ في بساطةٍ

أن أرسمَ النساءَ في كرّاستي..

بهيئة الأشجارْ

وأجعلَ النهدَ الذي أختارُهُ

طيَّارةً من ورقٍ..

أو زهرةً من نارْ..

▪

خطيئتي..

– ومن بنا كان بلا أخطاءْ –

أنّي بقيتُ مؤمنًا بزرقة السماءْ

وأنّني أعتبرُ الأشجارَ، والنجوم، والغيومَ أصدقاءْ

وأنّني جعلتُ من قصائدي

عاصمةً تحكمها النساءْ..

فأيُّ ثغرٍ مُغْلَقٍ

يقول في مملكتي جميعَ ما يشاءْ

وأيُّ نهدٍ خائفٍ..

يقدر أن يطيرَ أو يحطَّ.. في الوقت الذي يشاء..

▪

خطيئتي..

– إن كنتِ تحسبينها خطيئةً –

أنّيَ من طفولتي..

أبحث عن جِنّيّةٍ نائمةٍ بغايَهْ

مرآتُها بحيرةٌ..

ومشطُها سحابَهْ

خطيئتي..

أنّي أظلُّ دائمًا.. منتظرًا قصيدةً..

تجيء من شواطيء الغرابَهْ

وأنّني أدركُ يا حبيبتي

كيف يكونُ الموتُ في الكتابَهْ..

▪

خطيئتي..

أنّي نقلتُ الحبَّ من كهوفهِ

إلى الهواء الطَلْقْ

وأنَّ صدري صارَ يا حبيبتي

كنيسةً مفتوحةً لكلِّ أهل العشْقْ..

مِنَ الأرْشيف

"مع حبّي للأبدْ"

(من خطابٍ لفلانهْ)

"مع أشواقي التي ليست تموتْ.."

(تحتها توقيع ريمْ)

"إنّني عاشقةٌ حتّى النهايهْ.."

(صورة مأخوذةٌ بين بنات المدرسهْ.. وعليها حرفُ ميمْ..)

"وسأبقى يا حبيبي لكَ وحدكْ.."

(صورة أخرى على البحر عليها حرفُ سينْ)

.. وقضيتُ الليلَ أسترجعُ أوراقي القديمَهْ

وخطاباتِ الغرامْ

وتصاويرَ اللواتي..

كُنَّ في عمري كأسراب الحَمَامْ

والعباراتِ التي كانتْ على قلبيَ بَرْدًا وسلامْ

وتسلّيتُ كثيرًا..

وتبسّمتُ كثيرًا..

وأنا أفتحُ كنزًا عمرُهُ عشرونَ عامْ..

.. أينَ مَن كُنَّ حبيباتي، ومَن أرسلنَ لي هذا الكلامْ

مَنْ تزوّجنَ تزوّجْنَ..

ومَنْ أنجبنَ أنجبنَ..

ومَنْ ضِعْنَ بأعماق الظلامْ..

والخطاباتُ التي أرسلنَها..

لم تكنْ إلّا كلامًا في كلامْ

والمواثيقُ التي أعطينَها..

كلُّها طارتْ كأسراب الحمامْ

آهِ.. كم ينقلبُ الإنسانُ في عشرينَ عامْ..

جِسمُكِ خارِطَتي

زِيديني عِشقًا.. زِيديني

يا أَحْلَى نَوْبَاتِ جُنُوني

يا سَفَر الخنجَرِ.. في أَنْسِجَتي

يا غَلْغَلَةَ السِكِّينِ..

زِيديني غَرَقًا يا سيِّدتي..

إنَّ البحرَ يناديني

زيديني مَوْتًا..

عَلَّ الموتَ، إذا يَقتُلُني، يُحييني..

▪

جِسْمُكِ خَارِطتي.. ما عادَتْ

خارِطَةُ العالَمِ تَعنيني..

أنا أقدَمُ عاصمةٍ للحُزْنِ..

وَجُرحي نَقْشٌ فِرْعُوني

وَجَعي.. يَمْتَدُّ كَبُقْعَةِ زَيْتٍ

مِن بيروتَ.. إلى الصِينِ..

وَجَعي قافِلَةٌ.. أرسَلَها

خُلَفاءُ الشامِ.. إلى الصينِ

في القرنِ السابعِ للمِيلادِ..

وضاعَتْ في فَمِ تِنّينِ..

▪

عُصفُورةَ قَلبي، نَيْسَاني
يا رَمْلَ البحرِ، ويا غاباتِ الزيتونِ
يا طعمَ الثلجِ، وطعمَ النارِ..
ونكهةَ كُفْري، ويَقيني
أَشعُرُ بالخَوْفِ مِنَ المَجْهُول.. فآويني
أَشعُرُ بالخَوف مِنَ الظلْماءِ.. فَضُمِّيني
أَشعُرُ بالبَرْدِ.. فَغَطِّيني
إحكي لي قِصَصًا للأطفالِ..
إضطَجِعي قُرْبي..
غَنِّيني..

▪

فأنا مِن بَدْءِ التكوينِ
أبحثُ عَن وَطَنٍ لجَبيني..
عَن شَعْرِ امرأةٍ..
يَكتُبُني فوقَ الجُدرانِ.. ويَمْحُوني
عَن حُبِّ امرأةٍ.. يأخُذُني
لِحُدُودِ الشمسِ.. ويَرميني
عَن شَفَةِ امرأةٍ.. تجعَلُني
كَغُبار الذَهَبِ المَطْحُونِ..

▪

نَوَّارةَ عُمري. مِروَحَتي

قِنديلي. بَوْحَ بَساتِيني

مُدّي لي جسرًا مِن رائِحَةِ الليمونِ..

وَضَعِيني مُشطًا عَاجِيًّا..

في عَتْمَةِ شَعرِكِ.. وَانْسِيني

أنا نُقْطَةُ ماءٍ.. حائِرَةٌ

بقِيَتْ في دَفتَرِ تِشرينِ

يَدْهَسُني حُبُّكِ.. مثلَ حِصَانٍ قوقازيٍّ مَجنونِ

يَرميني تحتَ حَوافِرِهِ..

يَتَغَرْغَرُ في ماءِ عُيُوني..

▪

زِيديني عُنْفًا.. زِيديني

يا أَحْلَى نَوْباتِ جُنُوني

مِن أجلِكِ أَعتَقْتُ نِسائي

وشَطَبْتُ شَهادةَ ميلادي

وقطعتُ جَميعَ شراييني..

وَبْرُ الكَشْمير

لا وقتَ لدينا للتفكيرْ..

أعصابي ليستْ من خَشَبٍ

وشفاهُكِ ليستْ من قصديرْ

يدُكِ المطمورةُ تحت يدي..

منديلٌ مشغولٌ بحريرْ

ومفاتنُ جسمكِ لا تُحصَى

والعمرُ قصيرْ..

▪

لا وقتَ لدينا للتفكيرْ..

فأنا أتعاطى الشعرَ.. ولا أتعاطى – سيّدتي – التفكيرْ

عاريةٌ أنتِ.. كنَصْل السيف..

ونهدُكِ يحملني.. ويطيرْ..

وأنا أتقلَّبُ فوق الريش..

وأغرقُ في وَبَر الكَشميرْ..

فأمانًا.. يا أمطارَ الفُلِّ..

أمانًا.. يا وبَرَ الكَشْميرْ

واقتربي.. يا جُزُرَ البلّور..

فإنَّ الموتَ عليكِ مُثيرْ..

▪

عيناكِ.. بحالةِ تَغْتيمٍ

والجوُّ مطيرْ..

وأنا لا أطلبُ تفسيرًا

ما قَتَل الحبَّ سوى التفسيرْ

إنّي أهواكِ.. وذاكرتي

في أقصى حالات التخديرْ

أهواكِ.. وأجهلُ ماذا كنتُ..

ومن سأكونُ..

وأينَ أصيرْ..

أهواكِ.. إلى حدّ التدميرْ

وأسيرُ إليكِ كما البوذيُّ

إلى أعماق النار يسيرْ..

▪

سيّدتي!

هذا عصرُ العُنْف..

وعصرُ الجنسِ..

وعصرُ الدهشةِ والتغييرْ..

فلنهرُبْ من سيف السيّافِ،

وقصّةِ عنترةٍ والزيرْ..

مدفونٌ جسمك، تحت الرملِ الساخنِ، من أيّام جريرْ

مهروسٌ نهدُكِ، مثلَ شريحة لحمِد في أسنان أميرْ..

لا وقتَ لدينا للتاريخ..

فنصفُ حوادثه تزويرْ..

▪

إقتربي..

إقتربي منّي..

ولنكسِرْ آلافَ الأشياء..

فلا تعميرَ.. بلا تكسيرْ

من حسمكِ تنطلقُ الغَزَواتُ..

ومنهُ.. سيبتدئُ التحريرْ..

قَصيدَةُ التحَدِّيات

أتحدّى كلَّ عشّاقكِ يا سيّدتي

من ملوكٍ،

ومشاهيرَ،

وقُوَّادٍ عِظامِ..

أن يكونوا صنعوا تَخْتَكِ من ريش النَعَامِ..

أو يكونوا أطعموا نهديْكِ.. يا سيّدتي

بَلَحَ البصرةِ..

أو تُوتَ الشامِ..

أتحدّاهُمْ جميعًا..

أن يخطُّوا لكِ مكتوبَ هوًى

كمكاتيب غرامي..

أو يجيئوكِ – على كثرتهمْ –

بحروفٍ كحروفي، وكلامٍ كَكلامي..

▪

أتحدّى..

مَن إلى عينيكِ، يا سيّدتي، قد سبقُوني

يحملونَ الشمسَ في راحاتهمْ..

وعقودَ الياسمينِ..

أتحدّى كلَّ من عاشَرتِهمْ

من مجانينَ، وأطفالٍ، ومفقودينَ في بحر الحنينِ

أن يُحبّوكِ بأسلوبي، وطَيْشي، وجُنوني..

أتحدَّى..

كُتُبَ العشقِ.. ومخطوطاتِهِ

منذُ آلافِ القرونِ..

أن تَرَيْ فيها كتابًا واحدًا

فيهِ، يا سيّدتي، ما ذَكَرُوني

أتحدّاكِ أنا.. أنْ تَجِدي

وطنًا مثلَ فمي..

وسريرًا دافئًا.. مثلَ عُيُوني

▪

أتحدَّى..

كلَّ من جاؤوكِ، يا سيّدتي، من آسِيَا

بصناديق الحُلَى، وقواريرِ العطورْ

فمِنَ الصين الأواني

ومِنَ الهند البخورْ..

أتحدَّى..

كلَّ من جاؤوكِ من إفريقيا

بصنوف العاج، أو جلد النُمُورْ

واشتروا حبَّكِ يا سيّدتي

بخرافيِّ المُهُورْ..

أتحدَّاهمْ جميعًا..

أن يكونوا اكتشَفُوا..

كيف تغفو بين أهدابِكِ آلافُ الطيورْ

أو يكونوا اقتنعوا..

أنَّ نَهْدَيْكِ يدورانِ كما الشمسُ تدورْ..

أتحدَّاكِ أنا.. أنْ تذْكُري

رجُلًا من بين من أحْبَبْتِهِمْ

أفرغَ الصيفَ بعينيكِ.. وفيروزَ البحورْ

أتحدّى..

مُفْرَداتِ الحُبّ في شَتَّى العصورْ

والكتاباتِ على جدران صيدونَ وصُورْ

فاقرأي أقدمَ أوراق الهوى..

تَجِديني دائمًا بين السطورْ

إنّني أسكُنُ في الحُبّ..

فما من قُبْلةٍ..

أُخِذَتْ.. أو أُعْطِيَتْ

ليس لي فيها حلولٌ أو حضورْ..

أتحدَّى أشجَعَ الفُرْسانِ.. يا سيِّدتي

وبواريدَ القبيلَهْ..

أتحدَّى من أَحَبُّوكِ ومَنْ أحْبَبْتِهِمْ

منذُ ميلادِكِ.. حتّى صرتِ كالنَخْل العراقيّ.. طويلَهْ

أتحدَّاهم جميعًا..

أن يكونوا قطرةً صُغرى ببحري..

أو يكونوا أطفأوا أعمارَهُمْ

مثلما أطفأتُ في عينيكِ عُمري..

أتحدّاكِ أنا.. أنْ تَجِدي

عاشقًا مثلي..

وعصرًا ذهبيًّا.. مثلَ عصري..

فارحلي، حيث تريدينَ، ارحلي..

واضحكي،

وابكي،

وجُوعي،

وتعرّي..

فأنا أعرفُ أنْ لنْ تجدي

غابةً فيها تنامينَ كصدري..

بَريدُ بَيروت

أكتُبُ من بيروتَ، يا حبيبتي
حيثُ المَطَرْ..
محبوبةٌ قديمةٌ تزورُنا بعد سَفَرْ
أكتبُ من مقهى على البحر..
وأيلولُ الحزينُ بَلَّلَ الجريدَهْ
وأنتِ تخرجينَ كلَّ لحظةٍ..
من قَدَح القهوة.. يا حبيبتي
وأَسْطُرِ الجريدَهْ..

▪

.. مضتْ شهورٌ خمسةٌ..
هل أنتِ، يا صديقتي، بخيْرْ؟
أخبارُنا عاديّةٌ جدًّا..
وبيروتُ – كما عرفتِها – في أوّل الشتاءْ
مشغولةٌ بحسنها كأكثرِ النساءْ
عاشقةٌ لنفسها.. كأكثرِ النساءْ
طيّبةٌ. قاسيةٌ
ذاكرةٌ. ناسيةٌ
كأكثر النساءْ..

بيروتُ في الخريف.. يا حبيبتي
مشتاقةٌ إليكِ..
أيّتها القريبةُ البعيدَهْ
أيّتها المدهشةُ الحضور، كالقصيدَهْ..
أمطارُها مشتاقةٌ إليكِ..
أحجارُها مشتاقةٌ إليكِ..
وبحرُها. سافَرَ من شطآنِهِ
وصبَّ في عينيكِ..

▪

بيروتُ يا حبيبتي..
في هذه الأيّام، كالخرافَهْ
أوراقُ أيلولَ على الأرض نحاسٌ وذَهَبْ
و(شارعُ الحمراء) يا حبيبتي
ثوبٌ مُوَشَّى بالقَصَبْ
الله. كم أحتاجُ يا حبيبتي إليكِ
حين يجيءُ موسمُ الدموعْ
كم بحثتْ يدايَ عن يديْكِ
في زحة الشوارع المبلَّلهْ
يا زهرةَ اللوَنْد في دفاتري
يا وَجَعي الجميلَ، يا هوايتي المفضَّلهْ..

▪

أكتُبُ يا حبيبتي من مطعمٍ..

كنّا اكتشفناهُ معًا.. في (الرملة البيضاءْ)

طاولتي تتركني..

كَرَّاستي تتركني..

ذاكرتي تتركني..

وتتبعُ الغمامْ..

والمقعدُ الثاني الذي ملأتِهِ..

بشاشةً ورِقةً.. في سالف الأيَّامْ

يرفُضني..

يرسُمُ حول مقعدي

إشارةَ استفهامْ..

▪

أكتُبُ سطرًا باكيًا..

أبدؤه بالشوق والسلامْ

أشطُبُهُ..

أعاشقٌ مثلي أنا.. يبدأ بالسلام؟

أكتُبُ سطرًا ثانيًا..

أشطُبُهُ..

أبحثُ عن أصابعي..

عن لُغَتي.. عن علبةِ الكبريتِ..

عن عبارةٍ ما وَرَدَتْ في كُتُب الغرامْ

تسيطرُ الفوضى على مشاعري.

يلفّني الظلامْ..

ما أصعبَ الكلامْ..

نكتبُهُ لامرأةٍ نُحبُّها.

ما أصعبَ الكلامْ..

أسئِلَة إلى الله

يا إلهي!

عندما نعشقُ ماذا يعترينا؟

ما الذي يحدثُ في داخلنا؟

ما الذي يُكْسَرُ فينا؟

كيف نرتدُّ إلى طور الطفولَهْ

كيف تغدو قطرةُ الماء محيطًا..

ويصير النخلُ أعلى..

ومياهُ البحر أحلى..

وتصيرُ الشمسُ إسوارًا من الماس ثمينا

حين نغدو عاشقينا..

يا إلهي:

عندما يضربنا الحبُّ على غير انتظارٍ..

ما الذي يذهبُ منَّا؟

ما الذي يولد فينا؟

كيف نغدو كالتلاميذ الصغارِ..

أبرياءً ساذَجينا..

ولماذا عندما تضحكُ محبوبَتُنا؟

تُمطر الدنيا علينا ياسَمينا..

ولماذا عندما تبكي على رُكْبتِنا

يُصبحُ العالمُ عصفورًا حزينا؟

يا إلهي:

ما يُسمَّى ذلك الحبُّ الذي ظلَّ قرزنًا وقرونا..

يقتلُ القتلى. ويحتلُّ الحُصُونا

ويُذلُّ الأقوياءَ القادرينا

ويُذيبُ البُسَطَاءَ الطيّبينا

كيف يغدو شَعْرُ من نهوى سريرًا من ذَهَبْ؟

وفمُ المحبوب خمرًا وعنبْ

كيف نمشي وَسَطَ النار..

ونلتذُّ بألوان اللَهَبْ؟

كيف نغدو – عندما نعشقُ – أسرى

بعدما كنّا ملوكًا فاتحينا..

▪

ما نُسمّي ذلك الحبَّ الذي يدخُلُ كالسكِّينِ فينا؟

أنسمّيهِ صُداعًا؟

أم نسمّيهِ جُنونا؟

كيف يغدو الكونُ في ثانيةٍ

واحةً خضراءَ.. أو ركنًا حنونا.

حين نغدو عاشقينا..

▪

يا إلهي:

ما الذي يحدثُ في منطقتنا؟

ما الذي يحدثُ فينا؟

كيف تغدو لحظةُ الشوق سنينا

ويصير الوهمُ في الحبّ يقينا

كيف تختلُّ أسابيعُ السَنَهْ؟

كيف يُلغي الحبُّ كلَّ الأزمنَهْ؟

فيصير الصيفُ يأتي في الشتاءِ

ويصير الوردُ ينمو في بساتين السماءِ..

حين نغدو عاشقينا..

▪

يا إلهي:

كيف نستسلمُ للحُبّ، ونُعطيهِ مفاتيحَ الأمانْ

وإليهِ نحمل الشمعَ، وعطرَ الزعفرانْ

كيفَ ننهار على أقدامه مستغفرينا..

كيف نسعى لحِماهُ.. قابلينا

كلَّ ما يفعل فينا..

كلَّ ما يفعل فينا..

▪

يا إلهي:

إن تكنْ ربًّا حقيقيًّا.. فدعْنا عاشقينا

تَهويمات صوفِيَّة لِتَكوين امرأة

لو لم تَكُوني أنتِ في حياتي

كنتُ اخترعتُ امرأةً مثلكِ يا حبيبتي

قامتُها طويلةٌ كالسيفْ

وعينُها صافيةٌ..

مثلَ سماءِ الصيفْ..

كنتُ رسمتُ وجهَها على الوَرَقْ

كنتُ حفرتُ صوتَها على الوَرَقْ

كنتُ جعلتُ نهدَها..

حمامةً شاميَّةً..

وشُرْفةً بحريّةً

تلامسُ الماءَ، ولا تخشى الغرقْ

كنتُ جعلتُ شعرَها

مزرعةً من الحَبَق

وخصرُها قصيدةً

وثغرُها كأسَ عَرَقْ

كنتُ اشتغلتُ ليلةً بطولِها..

أصوِّرُ ارتعاشةَ العقدِ..

وموسيقى الحَلَقْ..

▪

لو لم تكوني أنتِ في لوح القَدَرْ

لكنتُ كوَّنتُكِ يا حبيبتي

بصورةٍ من الصُوَرْ

كنتُ استعرتُ قطعةً من القَمَرْ

وحَفْنَةً من صَدَف البحر.. وأضواءِ السَحَرْ

كنتُ استعرتُ البحرَ.. والمسافرينَ.. والسَفَرْ

كنتُ اخترعتُ الغيمَ يا حبيبتي

– من أجل عينيكِ – وأنزلتُ المطَرْ..

لو لم تكوني أنتِ في حياتي..

ما كان في الأرضِ هواءٌ.. أو حياةٌ.. أو شَجَرْ

ما كان في الأرض بشَرْ..

▪

لو لم تكوني أنتِ يا حبيبتي.. في الواقعِ

كنتُ اشتغلتُ أشهرًا.. وأشهرًا

على الجبين الواسعِ..

وأشهرًا.. وأشهرًا

على الفم الرقيق والأصابعِ..

كنتُ خلقتُ امرأةً مثلكِ يا حبيبتي

شفّافة اليدينْ

كنتُ على أهدابها.. رميتُ نجمتينْ

كنتُ على سريرها أضأتُ شمعتينْ

لكنَّ مَنْ مثْلُكِ يا حبيبتي..

أينَ تكونُ.. أينْ؟

قَصيدة غَير منتَهية في تعريف العِشق

١

.. عندما قرَّرتُ أن أكتبَ عن تجربتي في الحُبّ..
فكّرتُ كثيرًا..
ما الذي تُجدي اعترافاتي؟
وقبلي كتب الناسُ عن الحُبّ كثيرا..
صوَّروه فوق حيطان المغاراتِ،
وفي أوعية الفخَّار والطين، قديمًا
نقشوهُ فوق عاجِ الفيل في الهند..
وفوق الورق البَرْديِّ في مصرَ،
وفوق الرزّ في الصين..
وأهدوهُ القرابينَ، وأهدوهُ النُذُورا..

▪

عندما قرَّرتُ أن أنشرَ أفكاري عن العشقِ..
تردَّدتُ كثيرا..
فأنا لستُ بقسّيسٍ،
ولا مارستُ تعليمَ التلاميذ،
ولا أؤمن أن الوردَ..

مضطرٌّ لأن يشرحَ للناس العبيرَ..

ما الذي أكتب يا سيّدتي؟

إنّها تجربتي وحدي..

وتَعنيني أنا وحدي..

وتُلغيني من التاريخ وحدي..

إنّها السيفُ الذي يثقبني وحدي..

فأزدادُ مع الموت حُضُورا..

٢

عندما سافرتُ في بحركِ يا سيّدتي..

لم أكنْ أنظر في خارطة البحر،

ولم أحمل معي زورقَ مَطَّاطٍ..

ولا طوقَ نجاةٍ..

بل تقدَّمتُ إلى ناركِ كالبوذيّ..

واخترتُ المصيرا..

لذّتي كانتْ بأنْ أكتُبَ بالطبشور..

عُنواني على الشمسِ..

وأبني فوق نهديكِ الجُسورا..



حين أحببتُكِ..

لاحظتُ بأنّ الكَرَزَ الأحمرَ في بستاننا

أصبحَ جمرًا مُسْتديرا..

وبأنّ السَمَكَ الخائفَ من صُنّارة الأولاد..

يأتي بالملايين ليُلْقي في شواطينا البذُورا

وبأنَّ السَرْوَ قد زاد ارتفاعًا..

وبأن العُمْرَ قد زاد اتّساعًا..

وبأنَّ اللهَ..

قد عادَ إلى الأرض أخيرا..

٤

حين أحببتُكِ..

لاحظتُ بأنّ الصيفَ يأتي..

عَشْرَ مرّاتٍ إلينا كلَّ عامٍ..

وبأنَّ القمحَ ينمو..

عَشْرَ مرّاتٍ لدينا كلَّ يومٍ

وبأنّ القَمَرَ الهاربَ من بلدتنا..

جاء يستأجر بيتًا وسريرًا..

وبأنَّ العَرَقَ الممزوجَ بالسُكَّر واليَنسُونِ..

قد طابَ على العشق كثيرا..

٥

حين أحببتُكِ..

صارتْ ضحكةُ الأطفال في العالم أحلى..

ومذاقُ الخبز أحلى..

وسقوطُ الثلج أحلى..

ومُواءُ القِطَط السواداءِ في الشارع أحلى..

ولقاءُ الكفّ بالكفّ على أرصفة (الحمراء) أحلى..

والرسوماتُ الصغيراتُ التي نتركها في فُوطة المطعم أحلى..

وارتشافُ القهوة السوداء..

والتدخينُ..

والسهرةُ في المسرح ليلَ السبتِ..

والرملُ الذي يبقى على أجسادنا من عطلة الأسبوع،

واللونُ النحاسيُّ على ظهرك، من بعد ارتحال الصيف،

أحلى..

والمجلّاتُ التي نمنا عليها..

وتمدّدنا.. وثرثرنا لساعاتٍ عليها..

أصبحتْ في أُفُق الذكرى طيورا..

٦

حين أحببتُكِ يا سيّدتي

طوَّبُوا لي..

كلَّ أشجار الأناناسِ بعينيكِ..

وآلافَ الفدادينِ على الشمس،

وأعطوني مفاتيحَ السماواتِ..

وأهدوني النياشينَ

وأهدوني الحريرا

٧

عندما حاولتُ أن أكتبَ عن حُبّي..

تعذّبتُ كثيرا..

إنّني في داخل البحر..

وإحساسي بضغط الماء لا يعرفُهُ

غيرُ من ضاعوا بأعماق المحيطات دُهورا..

٨

ما الذي أكتب عن حُبّك يا سيّدتي؟

كلُّ ما تذكره ذاكرتي..

أنّني استيقظتُ من نومي صباحًا..

لأرى نفسي أميرا..

الشَّجَرة

كُوني..

كُوني امرأةً خَطِرَهْ..

كي أتأكَّدَ – حين أضمُمُّكِ

أنّكِ لست بقايا شَجَرَهْ..

إحكي شيئًا..

قُولي شيئًا

غَنّي. إبكي. عيشي. مُوتي.

كي لا يُروى يومًا عنّي

أنَّ حبيبةَ قلبي.. شَجَرَهْ..

▪

كُوني السُمَّ.. وكُوني الأفعى

كُوني السِحْرَ.. وكُوني السَحَرَهْ

لُفّي حولي..

لُفّي حولي..

كي أتحسَّسَ دفءَ الجلد، وعطرَ البَشَرَهْ..

كي أتأكَّدَ – يا سيِّدتي –

أنَّ فُرُوعَكِ ليستْ خَشَبا..

أنَّ جُذُورَك ليستْ حَطَبا..

سيلي عَرَقًا..

مُوتي غَرَقًا..

كي لا يُروى يومًا عنّي

أنّي كنتُ أغازِلُ شَجَرَهْ..

▪

كُوني فَرَسًا. يا سيِّدتي

كُوني سيفًا يقطَعْ..

كُوني قبرًا..

كُوني حَتْفًا..

كُوني شفةً ليست تشبَعْ

كُوني صيفًا إفريقيًّا..

كُوني حقلَ بهارٍ يلذعْ..

كُوني الوَجَعَ الرائعَ.. إنّي

أُصبحُ ربًّا.. إذْ أتوجَعْ

غنّي. إبكي. عيشي. مُوتي

كي لا يروى يومًا عنّي..

أنّي كنتُ أُعانقُ شَجَرَهْ..

▪

كُوني امرأةً.. يا سيّدتي..

تطحنُ في نهديْها الشُهُبَا

كُوني رَعْدًا

كُوني بَرْقًا

كُوني رَفْضًا

كُوني غَضَبا

خَلّي شعرَكِ يسقُطُ فوقي..

ذَهَّبًا.. ذَهَبا

خلّي جِسْمَكِ فوقَ فِراشي

يكتُبُ شِعْرًا..

يكتُبُ أدَبًا..

خلِّي نهدَكِ فوق سريري

يحفرُ قَدَرَهْ

كُوني بَشَرًا يا سيّدتي..

كُوني الأرضَ، وكوني الثَمَرهْ..

كي لا يُروى يومًا عنّي..

أنّي كنتُ أضاجعُ.. شَجَرهْ..

النِّساءُ وَالمَسافات

أتركيني.. حتى أفكِّرَ فيكِ
وابعُدي خطوتيْنِ كي أشتهيكِ

لا تكُوني حبيبتي رغمَ أنفي
فالبقاءُ الطويلُ لا يُبْقيكِ

إستعيضي عنّي.. بأيِّ كتابٍ
أو صديقٍ، أو موعدٍ، أرجوكِ..

أنتِ في القرب تخسرينَ كثيرًا
فاذهبي أنتِ.. واتركي لي شكوكي..

نهدُكِ الآن.. قد تخلّى عن العرش
وقد كانَ من كِرام الملوكِ

وشذاكِ المُثيرُ صار رمادًا
أفأرثي شذاكِ، أم أرثيكِ

سافري.. سافري إلى جُزُر الحُلْمِ
فإنَّ الرحيلَ قد يُدْنيكِ

لا تُبيحي جميعَ ما أتمنّى

وارفُضي دعوتي إذا أدعوكِ

ما تمنّيتُ أن أُحيلَكِ زرًّا
في قميصي، أو معطفًا أرتديكِ

أنتِ مثلُ النبيذ يُحسى برفقٍ
فلماذا بلحظةٍ أُنْهيكِ؟

▪

آهِ.. يا مَرْأةً بغير ذكاءٍ
أو تبكينِ؟ ما الذي يُبكيكِ؟

أنتِ أحلى – تأكَّدي – أنتِ أحلى
حينَ في عالم الرؤى ألتقيكِ

إنهضي عن تنفُّسي لَحَظاتِ
فالحصارُ العقيمُ لا يُجديكِ

شهوتي قد تخشَّبتْ.. وشفاهي
لم تعُدْ، يا صديقتي، تكفيكِ

إنّني قد نسيتُ أبعادَ جسمي
في متاهاتِ شعركِ المفكُوكِ

فامنحيني ولو إجازةَ يومٍ..
علَّني. علَّني أفكّرُ فيكِ..

▪

قد تكونينَ كلَّ شيءٍ.. ولكنْ

لنْ تكوني ربًّا بغير شريكِ..

تَنويعات موسيقيَّة عَن امرأة مُتجرِّدة

١

كانَ في صدركِ ديكانِ جميلانِ..

يصيحانِ كثيرًا..

وينامانِ قليلا..

وأنا كنتُ بلا نومٍ..

وكانَ الشرشَفُ المشغُولُ بالإبْرةِ..

مزروعًا عصافيرَ..

وورِدًا..

ونخيلا..

كيف يأتي النومُ يا سيّدتي؟

كيف يأتي؟

وحقولُ الشاي في سيلانَ، تدعوني..

وأدغالُ البهاراتِ..

وجَوْزِ الهندِ..

لا تترك للنوم سبيلا..

أنتِ نامي.. فأنا من يوم ميلادي بلا نومٍ..

وأعصابي كأسلاكٍ من القشِّ..

ووجهي كقصاصات المجلّات القديمَةْ..

ما احترفتُ القَتْلَ من قبلُ.. ولكنْ..

سَمَكُ القِرش الذي يقفزُ من خلجان نهديْكِ

البدائيَّيْن.. يُغريني بتنفيذ الجريمَةْ

٢

.. كان في صدركِ حقلانِ من القُطْن..

وكانَ البُرْنُسُ الأحمرُ.. مفتوحًا من النصفِ..

وجُرحي كان مفتوحًا من النصفِ..

وكانَ المرمرُ الأخضرُ في الحمَّامِ..

مذبوحًا من الشوقِ..

وكانت رغوةُ الصابون، واللاوَنْدِ..

تجتاحُ البروايزَ

وتجتاحُ الثريّاتِ..

وتجتاحُ مساماتي..

وترميني على الأرض شظايا..



كان نهداكِ خَرُوفَيْنِ صغيريْنِ..

وكانا.. يأكلانِ العُشْبَ من صدري..

وكانَ الصوفُ من كشْميرَ.. منثورًا على وجهي..

وقمصاني..

وفي كُلِّ الزوايا..

كنتُ كالبلّور مكسورًا على الأرضِ..

وكانت قهوتي تشربني..

والبرنُسُ المبتلُّ بالماءِ..

يناديني..

ويُهديني ملايينَ الهدايا..

٤

.. كان نهداكِ حصانيْنِ بلا سَرْجٍ..

وكانا يشربانِ الماءَ من قعر المرايا..

وأنا من أُمَّةٍ تحترم الخيلَ..

وما للخيل من طبعٍ كريمٍ.. وسجايا

آهِ لو قدَّمتُ لوزًا للحصانيْنِ..

وتينًا.. وزبيبًا..

آهِ..

لكنْ هاجرتْ منّي يدايا..

شهوتي سيفٌ حجازيٌّ..

ونهداكِ كأرض الروم..

من ماتَ على أسوارها..

كفَّر عن كلِّ الخطايا..

٥

كان نهداكِ مليكيْنِ عظيمينِ..

وكانا يحكمانِ البرَّ والبحرَ..

وكانَ العدلُ موفورًا..

وكان الخبزُ موفورًا..

وكانَ الشعبُ يدعو للمليكينِ.. بطول العمرِ..

في كلِّ الميادين.. وفي كلِّ التكايا..

وأنا من حسن حظّي أنّني..

عاصرتُ نهديكِ..

وقدّمتُ ولائي لهما..

مثلَ ملايين الرعايا..

٦

.. كانَ يا ما كانَ..

في صدركِ أسماكٌ.. وخيلٌ.. ودُيوكٌ

وملوكٌ.. وزغاليلُ حَمَامٍ

وزغاريدُ صبايا..

وأنا كنتُ على سجَّادة الكاشانِ مرميًّا..

ومن حولي نثاراتُ شموسٍ..

وفتافيتُ مرايا..

اللُّجوء

لو كنتُ أعرفُ ما أريدُ..

ما جئتُ ملتجئًا إليكِ كهرَّةٍ مذعورةٍ..

لو كنتُ أعرفُ ما أريدُ..

لو كنتُ أعرف أينَ أقضي ليلتي

لو كنتُ أعرفُ أينَ أسندُ جبهتي

ما كان أغراني الصعودُ

لا تسألي: من أينَ جئتُ، وكيفَ جئتُ، وما أريدُ..

تلكَ السؤالاتُ السخيفةُ ما لديَّ لها ردودُ..

▪

ألديكِ كبريتٌ وبعضُ سجائرٍ؟..

ألديكِ أيُّ جريدةٍ

ما همَّ ما تاريخُها

كلُّ الجرائد ما بها شيءٌ جديدُ..

ألديكِ – سيِّدتي – سريرٌ آخرٌ

في الدار، إنّي دائمًا رجلٌ وحيدُ

أنتِ ادخلي نامي..

سأصنعُ قهوتي وحدي،

فإنّي دائمًا.. رجلٌ وحيدُ

تغتالني الطُرُقاتُ.. ترفضني الخرائطُ والحدودُ

أما البريدُ.. فمن قرونٍ ليس يأتيني البريدُ

▪

هاتي السجائرَ. واختفي

هي كلُّ ما أحتاجُهُ..

هي كلُّ ما يحتاجُهُ الرجُلُ الوحيدُ

▪

لا تُقفلي الأبوابَ خلفكِ..

إنَّ أعصابي يغطِّيها الجليدُ

لا تُقفلي شيئًا..

فإنّ الجنسَ آخرُ ما أريدُ..

حِوار مَع امرأة مِن خشب

لو كنتِ في مكاني..

ما تفعلينَ يا تُرى لو كنتِ في مكاني؟

مضطرّةً أن تعشقي..

عشرينَ ألفَ مرَّةٍ في اليومْ..

وتُذْبحي، كالديكِ، يا صديقتي

عشرينَ ألفَ مرَّةٍ في اليومْ..

وتيأسي. وتضجري

وتُرعِدي. وتُمْطري

وتُؤمني. وتكفُري

عشرينَ ألفَ مرَّةٍ في اليومْ..

لو كنتِ، يا صديقتي، مضطرَّةً

أن تلعبي مثلي على أكثرِ من حصانِ..

وترقُصي مثلي..

على ألسنة اللهيب والدُخانِ

لو ابتلاكِ اللهُ بالعشقِ..

كما ابتلاني..

▪

ما تفعلينَ يا تُرى لو كنتِ في مكاني..

مضطرّةً أن تعشقي..

قبائلًا شتّى من النساءِ

وتفعلي الحبَّ مع الأشجار، والأحجار، والهواءِ

وتُشْنَقي مثلي على حبالِ الجنسِ..

في الصباح والمساءِ..

والصيف، والشتاءِ..

لو كنتِ يا صديقتي مضطرَّةً

أن تشربي، من غير ما ارتواءِ

وتشتهي، من غير ما اشتهاءِ

وتسكُني في مُدُن الدموعِ والبكاءِ..

لو كنتِ يا صديقتي مضطرّةً..

أن ترجعي..

في آخر الليل كأيِّ بهلوانِ..

مسحوقةً، مهزومةً..

كأي بهلوانِ..

منفيَّةً خلفَ حدود الوقت والثواني

▪

ودِدْت يا صديقتي

أن تأخذي مكاني..

وأن تُعاني نصفَ ما أُعاني..

رَصاصَةُ الرَّحمة

مثلما تطرُدُ الغيومُ الغيومَا
الغرامُ الجديدُ يمحو القديما

قُضِيَ الأمرُ.. والتقيتُ بأُخرى
والسماءِ استعدتُها، والنجومَا

لا تموتُ الخيولُ بَرْدًا وجوعًا
إنَّ للعاشقينَ ربًّا رحيما..

▪

إنتهتْ أزْمتي، وفُكَّتْ قيودي
بعدما كنتُ قاصرًا ويتيما..

وكسرتُ احتكارَ عينيكِ بالعنفِ
وأنقذتُ جيشيَ المهزوما..

فإذا أنتِ حائطٌ أثريٌّ
والرسومُ العليهِ.. لسنَ رسوما..

▪

يا أنانيَّةَ الشفاهِ، اعذريني

لا يظلُّ الحليمُ دومًا حليما

جاءَ يومُ الحساب بعد انتظارٍ
وتحدَّيتُ مجدَكِ المزعوما

إنني عاشقٌ سواكِ.. وعندي
امرأةٌ بدَّلتْ جحيمي نعيما

هي أحلى وجهًا، وأطيبُ نفسًا
وهْي أشهى عطرًا، وأزكى شميما

ما اسمُها؟ من تكونُ؟ تلك شؤوني
فاقطُري غَيْرَةً، وفيضي سُمُوما

ليس قصدي إذلالَ نهديْكِ.. لكنْ
جاءَ دوْري لكي أكون لئيما..

صورَة دوريان غراي

فشلتْ جميعُ محاولاتي!

في أن أفسّر موقفي..

فشلتْ جميعُ محاولاتي..

ما زلتِ تتَّهمينني..

أنّي هوائيٌّ المزاج، ونرجسيٌّ في جميع تصرُّفاتي..

ما زلتِ تعتبرينني

كقطار نصفِ الليل، أنسى دائمًا

أسماءَ رُكّابي، وأوجُهَ زائراتي..

فهواي غيبٌ..

والنساءُ لديَّ محْضُ مصادفاتِ..

ما زلتِ تعتقدينَ.. أنَّ رسائلي

عَمَلٌ روائيّ.. وأشعاري شريطُ مغامراتِ

وبأنّني رجلٌ يعيشُ حياتَه

من غير ذاكرةٍ، وغير مذكِّراتِ..

وبأنّني استعملتُ أجملَ صاحباتي

جسرًا إلى مجدي.. ومجدِ مؤلّفاتي..

ما زلتِ تحتجّينَ أنّي لا أحبُّكِ كالنساءِ الأُخرياتِ..

وعلى سرير العشقِ، لم أُسْعِدْكِ مثل الأُخرياتِ..

الله من طَمَع النساء،

وكيدِهنَّ..

ومن عتابِ مُعاتباتي..

▪

كم أنتِ رومنسيَّةُ التفكير، ساذجةُ التجاربْ

تتصوّرين الحُبَّ صندوقًا مليئًا بالعجائبْ

وحقولَ غاردينيا..

وليلًا لازورديَّ الكواكبْ

ما زلتِ تشترطينَ..

أن نبقى إلى يوم القيامة عاشقينْ..

وتطالبينَ بأن نظلَّ على الفراش مُمَدَّدينْ

نرمي سجائرَنا، ونشعلُها..

وننقرُ بعضنا كحمامتينْ..

ونظل أيّامًا.. وأيّامًا..

نحاورُ بعضَنا بالركبتيْنْ..

هذا كلامٌ مُضْحكٌ..

أنا لستُ أضمنُ طقسيَ النفسيَّ بعد دقيقتينْ..

فلربّما، تتبخّرُ الأنهارُ في عينيكِ، بعد دقيقتينْ

ولربّما تتيبّسُ الأشجارُ في شفتيَّ..

بعد دقيقتينْ..

ولربّما يتغيّرُ التاريخُ بعد دقيقتينْ..

ونعودُ.. في خُفَّيْ حُنَيْنْ..

من عالم الجنس المثيرِ..

نعودُ في خُفَّيْ حُنَيْنْ..

▪

فشلتْ جميعُ محاولاتي..

في أن أفسِّرَ موقفي

فشلتْ جميعُ محاولاتي

فتقبّلي عشقي على عِلّاتِهِ

وتقبّلي مَلَلي.. وذبذبتي.. وسوءَ تصرّفاتي

فأنا كماءِ البحر.. في مَدِّي، وفي جَزْري،

وعُمْقِ تحوّلاتي..

إنّ التناقضَ في دمي، وأنا أحبُّ تناقضاتي..

ماذا سأفعلُ يا صديقةُ.. هكذا رُسِمَتْ حياتي

منذ الخليقة..

هكذا رُسِمَتْ حياتي..

أُميَّة الشَّفتَين

أُميَّةَ الشفتينِ.. لا تَتبَرَّمي
إنّي أتيتُكِ هاديًا ومُبَشّرًا
حتى أعلِّمَكِ الهوى.. فتعلَّمي
ما زالَ قانونُ القبيلةِ حاكمًا
جَسَدَ النساء.. فحاولي أن تحكُمي..
إصغي إليَّ.. فإنَّ وقتي ضيّقٌ
والقمحُ ينبتُ مرةً في الموسمِ
خلّيكِ عاقلةً.. ولا تستقبلي
مَطَرَ الربيع، بوجهكِ المتجهّمِ
كوني كما كلُّ النساء.. فإنّني
لا أعرفُ امرأةً تعيش بلا فمِ

▪

هذي تعاليمي أمامكِ.. كلُّها
سترينَ فيها جنَّتي.. وجهنَّمي
إن كنتِ حتى الآنَ لم تستوعبي
ما جاءَ فيها.. فاسألي واستفهمي
أنا لا أريدُ عليكِ فرضَ مواقفي
إن كان يعجبكِ الكلامُ.. تكلّمي

أو كنتِ ترتاحينَ في شتْمي.. استُمي

فالحبُّ بالإكراه.. ليس هوايتي

والعنفُ – سيِّدتي – يزيدُ تأزُّمي

سأكونُ نَذْلًا.. لو جررتُكِ للهوى

جرَّ النعاج.. فحاولي أن تفهمي

▪

خلِّيكِ هادئةً.. فليس بنيَّتي

أن أقلب الليلَ الجميلَ لمأتمِ

أنا لم أكُنْ يومًا رئيسَ قبيلةٍ

حتى أُحبَّكِ بالأظافر والدمِ

لكنّني رجلٌ يحاول دائمًا..

تغييرَ خارطةَ السماء بشعرِهِ

وبعشقهِ.. تغييرَ طَقْسِ الأنجُمِ..

حُبوب منوِّمة

تَعِبَ الكلامُ من الكلامِ

فخُذي حبوبَ النوم، سيِّدتي، ونامي

ما دام عُرْيُكِ لا يُحرِّكُ شعرةً

منّي. لماذا أنتِ عاريةٌ أمامي؟

ما دام فِعْلُ الحبِّ.. صار عقوبةً

كُبرى.. فما معنى مُقامي؟

ما دامَ عطرُكِ لا يُثير شهيَّتي..

ما دامَ جسمُكِ ليس في وضْع انسجامِ

فأنا أفضِّلُ أن تنامي..

فنجانُ شايكِ باردٌ..

وصقيعُ نصْفِ الليل مفترسٌ عظامي

وأنا أُحدِّقُ في الستائرِ، والمقاعد، والظلامِ

وأعيشُ أسوأَ حالاتِ انفصامي

أُلقي على نهديكِ نظرةَ سائحٍ

وأَمرُّ بالأشياء.. من غير اهتمامِ

ماذا جرى لأصابعي؟

وأنا الذي حرَّكتُ باللَّمَسات عاطفةَ الرخامِ

ماذا جرى لزوابعي؟

وأنا الذي في ذاتِ يومٍ..

كنتُ سلطانًا على عرش الغرامِ

ماذا جرى في داخلي؟

هل أنتِ ذاتُ المرأةِ الأولى.. التي أحببتُها من قبل عامِ

هل أنتِ ذاتُ المرأةِ الأولى..

التي ملأتْ حياتي بالورود، وبالنجوم، وبالحَمَامِ

هل ناهداكِ هما اللذانِ تركتُ فوقهما حُطامي..

إنّي أشكُّ بما أرى..

وأشكُّ في نفسي، وفيكِ، وفي أكاذيب الغرامِ

فخُذي حبوبَ النوم، سيِّدتي، ونامي

فأنا أريدُ بأيِّ شكلٍ أن تنامي..

أن تنامي..

أن تنامي..

المقبَرة البَحرِيَّة

لم يعُدْ ما بين نهديكِ.. حياةٌ أو بشَرْ

لم يعُدْ بينهما عشبٌ..

ولا ظلَّ شَجَرْ..

والذينَ استوطنوا فوقهما

من أعاريبَ، وبدوٍ، وحَضَرْ..

حملوا خيمتَهُمْ وانصرفوا

بعدما جفَّ المَطَرْ..

▪

بين نهديكِ قُرى محروقةٌ

وملايينُ ملايينُ الحُفَرْ..

وبقايا سُفُنٍ غارقةٍ..

ودروعٌ لرجالٍ قُتلوا..

لم يجىءْ عن واحدٍ منهم خَبَرْ

كلُّ من مرَّ بنهديكِ اختفى..

والذي ظلَّ إلى الصبح انتحرْ..

هذه مقبرةٌ بحريّةٌ

دُفِنَ الآلافُ فيها..

من مَغُولٍ، ومَجُوسٍ، وتَتَرْ

▪

لم يعُدْ ما بين نهديكِ سوى شوكِ الضَجَرْ

والذين افترشوا ظلَّهما

ورأوا في ماء عينيكِ انعكاساتِ القمرْ

والذين انتظروا.. وانتظروا..

رحمةَ الله، طويلًا، وأعاجيبَ القدَرْ..

قرّروا الآن السَفَرْ..

والذين احتفلوا واستبشروا..

بملاقاة المسيح المنتظَرْ..

تركوا نهديكِ يا سيّدتي

حجرًا.. فوق حَجَرْ..

إيضاحٌ إلى مَن يَهُمّها الأمر

لن تُغرقيني في هواكِ بشبْر ماءٍ..

فبداخلي.. مات المراهقُ من زمانٍ

وانتهى الرجُلُ البدائي..

أصبحتُ محترفًا..

وصرتُ الآنَ أبرعَ في معاملة النساءِ

أُملي شروطَ الفاتحينَ على ملايين الظباءِ

من كلِّ نهدٍ.. سوف أجني جزيةً

وإذا عفوتُ.. فمن مواقع كبريائي

▪

حسناءُ.. لا تبكي عليَّ..

فأنتِ أَولى بالرثاء..

لستُ الغبيَّ – كما افتكرتِ –

وإنّما مثَّلتُ دورَ الأغبياءِ

سِيَّان عندي..

إن بقيتِ، أو ارتحلتِ مع المساءِ

أنا في شؤون الحُبِّ، ما اعتدتُ التلفُّتَ للوراءِ..

إنْ تذهبي..

لنْ تسقُطَ الدنيا، ولَنْ تنسدَّ أبوابُ السماءِ..

إنّ الكواكبَ في السماء كثيرةٌ..

جدًّا..

وحبٌّ الصيف يمحو عادةً.. حبَّ الشتاءِ..

إعتِزال التَّمثيل

هذا هو الواقعُ يا عزيزتي..

بلا مساحيقَ ولا تجميلْ

فقرّري.. ما شئتِ أن تقرّري

فالجرحُ لا يحتملُ التأجيلْ

لقد تساوى حبُّنا.. وكرهُنا

وأصبحَ البقاءُ كالرحيلْ

▪

عزيزتي:

لقد قرأنا صُحُفَ الصباح مرّتينْ

وقد تطلّعنا إلى الساعة مرّتينْ

وقد تصافحنا – كما أذكُر – مرّتينْ

ولم يعُدْ أمامَنا ما نفعلُ

فنحنُ منذ نحو ساعتينْ

يقتلنا الفراغُ والتململُ

أنا هُنا.. تمتصُّني سجائري

وأنتِ مستوحشةٌ..

باردةُ اليدينْ..

فحاولي أن تفهمي..

أن طيورَ الحبّ لا تطيرُ مرّتينْ

فالحبُّ يا صديقتي مسافرٌ

يأتي إلينا مرّةً.. ويرحلُ..

▪

هذا هو الواقعُ يا عزيزتي

بحلوهِ، ومُرِّهِ

بخيره، وشرِّهِ

ووجههِ القبيحِ والجميلْ

أعرضُهُ عليكِ في تجرُّدٍ

فأنتِ لستِ امرأةً ساذجةً

ولا أنا أحترفُ التمثيل

يا ليتني أقدر يا صديقتي

أن أُتقنَ التمثيلْ..

المذبَحَة

كُنَّا ثمانيةً معًا..

نتقاسمُ امرأةً جميلَهْ

كُنَّا عليها كالقبيلَهْ..

كانتْ عصورُ الجاهليّةِ كلُّها

تعوي بداخلنا،

وأَصواتُ القبيلَهْ..

كُنَّا ثمانيةً..

وكانَ البدوُ فينا يصرخونَ.. ويرقصونَ على الوليمَهْ

كنَّا نُعبِّرُ عن فحولتنا..

فوا خَجلَ الفحولَهْ..

▪

كُنَّا ثمانيةً إذنْ..

ووجوهُنا..

كانتْ مربَّعَةَ الخطوطِ ومُستطيلَهْ

كنّا نهاجمُها كثيرانٍ..

وكانتْ تقبلُ الثيرانَ صابرةً ذليلَهْ..

كُنَّا نُمَزْمِزُ لحمَ نهديْها..

ونفترسُ الطفولَهْ..

ونردِّدُ الأشعارَ والحِكَم القديمَهْ:

"إنْ ماتَ مِنا سَيِّدٌ.."

كُنَّا نردِّدها بإعجابٍ،

ونفرُكُ في شواربنا الطويلَهْ..

▪

كُنَّا ثمانيةً على امرأةٍ..

وكان الليلُ يرثينا..

وترثينا الرُجولَهْ..

إِلى صاحِبَة السمُوّ.. حَبيبَتي سابقًا

.. وتزوَّجتِ أخيرا..

بئرَ نفطٍ..

وتصالحتِ مع الحظّ أخيرا..

كانت السَحْبَةُ – يا سيِّدتي – رابحةً

ومن الصُندوق أخرجتِ أميرا..

عربيَّ الوجه.. إلّا أنَّهُ..

تركَ السيفَ يتيمًا.. وأتى

يفتحُ الدنيا شفاهًا.. وخُصَورا

فاستريحي الآن.. من عبءِ الهوى

طالما كنتِ تريدينَ أميرا..

تتسلّينَ به وقتًا قصيرا..

يتسلّى بكِ – يا سيِّدتي – وقتًا قصيرا

ويمدُّ الأرضَ، من تحتكِ، وردًا وحريرا

فاشربي نفْطًا.. وسبحانَ الذي

جعلَ البترولَ مِسْكًا وعبيرا..

▪

.. وتزوَّجتِ أخيرًا مَلِكًا..

من مُلوكِ الخلفاء الراشدينْ

وملكتِ الدينَ والدنيا معًا..

فاسجُدي شكرًا لربِّ العالمينْ

رازقِ الطير على أشكالها..

مُسْقِطِ الغيثِ، مَلاذِ التائهينْ

باعثِ الأموات من أكفانهمْ

بارىءِ المرضى، وكافي المُعْدَمينْ

واهِبِ النفْط لمنْ يختارُهُمْ

من بنيهِ الصالحينْ..

▪

.. كانت السَحْبَةُ يا سيِّدتي رابحةً

– مثلما قدَّرتِ – والصيد ثمينْ

وأنا غيرُ حزينْ..

لا تظنّي أبدًا.. أنّي حزينْ

فأنا أعلمُ، يا سيِّدتي، علمَ اليقينْ

ما تُسِرِّينَ.. وماذا تُعلنينْ

وأنا أعرفُ يا سيِّدتي

أكثرَ الخيل التي كنتِ عليها تلعبينْ..

وأنا أعرفُ يا سيِّدتي

كيفَ خطَّطتِ سنينًا وسنين

لتصيدي ملكًا..

من مُلوكِ الخلفاءِ الراشدينْ..

▪

لم يفاجئْني الخَبَرْ..

حينَ طالعتُ الجريدَهْ..

ورأيتُ الشمعَ، والأطفالَ، والثوبَ الموشَّى بالذَهَبْ

ورأيتُ الرجلَ المسحوبَ بالقُرْعةِ..

معروضًا كبرواز الخَشَبْ..

لم يحرّكْني الخَبَرْ..

حينَ شاهدتُكِ في كلِّ الصُوَّرْ

تَتَثنّينَ كطاووسٍ.. شمالًا ويمينًا

وتذوبينَ حياءً وخَفَرْ

وتَشُدّينَ على كفّ النبيِّ المُنتَظَرْ..

لم يساورني العجَبْ

فهواياتُكِ كانتْ دائمًا..

جَمْعَ فرسان الخشبْ..

▪

.. وتأمَّلتُ شعوري..

وأنا أقرأ أخبارَ زفافِكْ

كيفَ لم أحزنْ.. ولم أفرحْ..

ولا طرتُ سرورا..

كيفَ لم أعبأْ.. ولم أُبْرِقْ..

ولم أُرسل زُهُورا..

كيفَ في ثانيةٍ ماتَ شعوري..

فالتي أشعلتُ في معبدها قنديلَ عمري

لم تَعُدْ تعني قليلًا أو كثيرا..

كيفَ ألقيتُ على الأرض الجريدَهْ؟

ونسيتُ العرسَ أضواءً، ورقصًا، وكؤوسا

وتأمَّلتُ التصاويرَ أمامي..

غير أنّي لم أجدْ فيها العرُوسا..

.. وتسلَّيتُ كثيرا..

حينَ أبصرتُكِ يا سيِّدتي،

تقطعينَ الكعكة الكُبرى..

وتمشينَ كما تمشي اللُّعَبْ

وتضمِّينَ أمام الناس براوزَ الخَشَبْ

وتشيدينَ بأنساب قريشٍ

وفُتُوحاتِ العَرَبْ..

وتعجَّبتُ لنفسي..

لم أكُنْ أشعر في أيِّ أسًى

لم أكُنْ أشعر في أيِّ غَضَبْ..

فأنا أعرفُ يا سيِّدتي

أن أحلامَكِ أن تلتقطي..

بدويًّا عاشقًا..

يرهُنُ التاريخَ عند امرأةٍ..

ويَبيعُ اللهَ في جلسةِ جنسٍ وطَرَبْ..

▪

ألفُ مبروكٍ.. أيا سيِّدتي

وأدامَ اللهُ بترولَ العَرَبْ..

الإستِحالة

لم نُمارِسْ لعبةَ الحُبِّ معًا.. منذ شهورْ

وقعدنا.. مثلَ جُنديّيْنِ منهوكيْنِ

ألقينا على الأرض البَواريدَ..

انهزمنا.. قبل ميعاد العُبُورْ

ورفعنا عاليًا.. أعلامَنَا البيضاءَ..

سلَّمنا المفاتيحَ.. قتلنَا أجملَ الخيل،

وأحرقنا الجسورْ..

.. وأخذنا..

كالمجاذيب نُعزِّي بعضَنا بعضًا..

لجأنا لقناني الخمرِ..

حاولنا.. وحاولنا..

ولكنَّ المرايا رفَضَتْنَا.. وقواريرَ العطورْ

وتكلَّمنَا..

– ولا أذكرُ عن ماذا تكلَّمنا –

لعبنا وَرَقًا كي نصرعَ الوقتَ..

قرأنا صُحُفًا من غير تاريخٍ..

تمطَّينا طويلًا..

وتثاءبنَا طويلًا..

وتعلّلنا بآلاف المعاذيرِ..

اختبأنا خلفَ جدرانِ الغرورْ..

ومسحنا عَرَقَ الخيبة عن أوجهنا

وبحثنا..

كجنودٍ قُطِعتْ أخبارُهُمْ

– داخلَ الأكياس – عن شيءٍ من الدفءِ..

وعن شيءٍ من الحُبّ..

ولكنَّا رجعنا بالقشورْ..

وتبادلنا المراثي..

وتضرَّعنا..

وصلَّينا..

وقدَّمنا إلى الله النُذُورْ..

لم نكن نشعر بالحرِّ.. أو البردِ..

ولا كانت السجَّادةُ الصينيَّةُ الخضراءُ تمشي..

والثريَّاتُ على السقف تدورْ..

كانت الشمسُ صليبًا من نحاسٍ..

فوق رأسَيْنا..

وكنَّا مرفأي ملحٍ..

وكنَّا شجرًا دونَ جذورْ..

لم نكنْ مرضى – كما نحنُ تصوَّرنا –

ولكنَّا أضعنَا الدهشةَ الأولى

أضعنا..

مُتْعة الحَدْسِ بما بينَ السطورْ..

وتدحرجنا إلى القعر.. قطاريْنِ..

تناثرنا. امتلأنا بالشظايا والكسورْ..

وتشوَّهنا تمامًا..

مثلَ مخلوقاتِ ما قبلَ العصورْ..

ورمينا وردةَ الشعرِ..

تحوَّلنا إلى نثرٍ.. سقطنا في شراكِ الدَبَقِ اليوميّ..

أفلسنا..

تكرَّرنا..

تعوَّدنا على الموتِ.. انتظرنا في كراسينا..

كما ينتظر الأمواتُ في أكفانهم يومَ النشورْ

ورأينا..

كيف ينمو الطحلبُ البحريُّ في القلبِ..

عرفنا..

خدرَ الجلد.. وإفلاسَ الشعورْ

هل لدى سيّدتي حلٌّ لإفلاس الشعورْ؟

أنا ما عندي اقتراحاتٌ..

خذيني حيثما شئتِ..

أريني السفنَ البيضاءَ، والأسماكَ، والبحرَ

فإنّي لم أعد أذكرُ أسماءَ البحورْ

إسحبيني من وعاء الصمغ، يا سيّدتي

غيّري هندسةَ الأشياء من حولي..

أزيلي ورقَ الجدرانِ، والجدرانَ،

نجّيني من الغُرْبةِ والنَفْي..

أعيدي زمنَ النعناع والماءِ..

اكتبيني فوق أعشاب البراري

ومناقير الطيورْ..

أوقفي أجهزةَ التكييف، يا سيّدتي..

وافتحي الأبوابَ..

علَّ الشمسَ تُحيي مرّةً أخرى البُذُورْ

خلِّصيني من نظام الجَبْر والسُخْرَة في الحُبّ

ومن رائحة الزهر الصناعيِّ..

ومن رائحة الحبّ الصناعيِّ..

وإرهابِ إشارات المرورْ..

أنقذي نفسَكِ يا سيِّدتي

أنقذيني..

قبلَ أن تقتلَنا..

شِقَقُ الأسمنتِ، والزهرُ الصناعي..

وأضواءُ إشارات المرورْ..

محاوَلةٌ لِاغتِيال امرأة

واتَّفقنا..

قبلَ أن ينقطعَ الخيطُ..

بأن نبقى صديقينِ ككلِّ الأصدقاءْ

وتحمَّسنا..

وأكَّدنا..

وكرَّرنا..

"سنبقى عقلاءْ".

ورسمنا خطَّةَ النسيان، هيَّأنا البواريدَ،

تآمرنا على قتلِ السماءْ..

واجتمعنا..

صدفةً، في أوَّل الصيف اجتمعنا..

فنقضنا كلَّ شيءْ..

ونفَيْنا كلَّ شيءْ..

ولحَسْنا في ثوانٍ..

كلَّ ما كُنَّا كتبنا..

واكتشفنا أنّ تخطيطاتنا..

كانتْ دخانًا في الهواءْ..

وبكينا.. واعتذرنا..

وغرِقنا.. وطفَوْنا..

مثلما ترتعشُ الأسماكُ في بِرْكة ماءْ..

وتداخلنا كما الإبرةُ والخيطُ..

نسينا أنّنا صرنا صديقيْنِ ككلِّ الأصدقاءْ

وتمدَّدنا كسيفيْنِ على الأرضِ..

ذَبحَنا.. وانْذَبحنا..

ومحونا بعضَنا من شدَّة الشوق..

فعلنا الحبَّ تكرارًا.. وتكرارًا..

صرخنا مثلَ وحشيْنِ..

نَزَفنا مثلَ وحشيْنِ..

وأمطرنا، وأرعدنا..

وتُبنا..

وكَفَرنا..

وركضنا..

في براري الحبِّ أحرارًا..

وثبنا كحصانين إلى الشمسِ..

دخلناها..

فتحناها..

جَرَحناها حنينًا.. وانْجَرحنا..

وعرفنا الجنسَ في أحلى ثوانيهِ..

وفي أقسى ثوانيهِ..

تلاصقنا..

تباعدنا..

تبادلنا اللفَّافات..

تحدَّثنا قليلًا.. وسكَتْنا..

وتجاوزنا ملايينَ الإشاراتِ..

تحدَّينا..

تعرَّينا من التاريخِ.. من مُلك بني عثمانَ..

من عصر المماليكِ..

ومن رقص الدراويشِ..

قرأنا عن أبي زيد الهلاليِّ..

وعن مجنون ليلى..

وضحكنا..

ونسينا اللغةَ الأمَّ..

اخترعنا لغةً أُخرى..

لفظنا جُمَلًا مبتورةً.. فارغةً من أيِّ معنى..

ورمينا جانبًا..

أقنعةَ الشمع، وعقلَ العقلاءْ

وتعمَّدنا بماء الحبِّ والجنسِ..

تطهَّرنا..

رجعنا أبرياءْ

ونسينا حين جاء الصيفُ..

ما قلناه أيَّامَ الشتاءْ..

ونسينا..

أنَّنا صرنا صديقيْنِ ككُلِّ الأصدقاءْ..

الإلتِصاق

١

هل سنبقى سنةً أُخرى على هذا السريرْ؟
نتعاطى الشايَ، والزبدةَ.. والجنسَ..
على نفس السريرْ؟
إنَّني أحفظُ جغرافيَّةَ النهديْنِ.. يا سيِّدتي
عن ظهر قلبْ..
وأنا أعرفُ كالتلميذ أخبارَ الحضاراتِ التي
قد نشأتْ بينهُما..
عن ظهر قلبْ
وأنا أعرفَ..
طعمَ العَرَق المالحِ يجري من مساماتكِ..
والجُرحَ الطفوليَّ على ركْبتكِ اليُسْرَى..
.. وهذا الوبَرَ النامي على سلسلة الظَهْرِ.. كأسلاك الحريرْ
والدبابيسَ التي ترقدُ في شعركِ،
والعطرَ الذي يستعملُ السكِّينَ في الإقناعِ..
والنهدَ الذي يحترفُ القتلَ وَجاهيًّا..
وما زال على القتل صغيرْ..
وأنا أعرفُ وقتَ المدّ والجَزْرِ..

وتوقيتَ الأعاصيرِ..

وأشكالَ النباتاتِ..

وأسماءَ العصافير التي تنقرُ من ثغركِ..

رُمّانًا.. وقمحًا.. وتطيرْ..

٢

هل سيبقى جسدي مُسْتنفَرًا

مثلَ جوادٍ عربيٌّ..

راكضًا فوق المرايا..

ومداساتِ البيانو..

وصناديق الحُليٌّ..

هل سأبقى؟

ذاهلًا في حضرة النهد ذهولَ البدويٌّ..

إنّني آمنتُ يا سيّدتي..

أنَّ شكلَ الأرض شكلٌ كرويٌّ..



هل سنبقى سنةً أُخرى..

على هذا الفراشِ الفوضويٌّ؟

نكتسي حينًا..

وحينًا نتجرَّدْ

هل بدأنا

نستطيبُ النومَ في زنزانة الجنس المؤبَّدْ..

هل تحوَّلنا إلى نقشٍ..

على قبر أميرٍ بابليٍّ؟

هل بدأنا نتعوَّدْ؟

هذه الرائحةُ العاليةُ الصوت.. أنا اعتدتُ عليها

مثلما اعتادتْ عليَّ..

فإذا رأسُكِ.. إقليمٌ صغيرٌ فوق صدري

وإذا أنتِ امتدادٌ ليديَّ..

٤

آهِ يا سيِّدتي!

كم أنا مختجلٌ منكِ وآسِفْ

فأنا أعرفُ – حتَّى –

عددَ الخيطان في هذه الشَرَاشِفْ

عبثًا.. أبحثُ في عينيكِ عمَّا أجْهَلُهُ..

عبثًا أبحثُ..

عن أيِّ سؤالٍ أسألُهْ..إنّني أعرفُ كالسيَّاح أحجامَ التماثيلِ..

من العصر النُحاسيِّ إلى اليومِ..

وأشكالَ الأباريقِ..

من العصر الفينيقيِّ إلى اليومِ..

وأنواعَ الرُسُوم الفارسيَّاتِ..

وأعمالَ رفائيلَ،

وفانْ كوخَ،

وبيكاسو،

وغويا..

ويواقيتَ بني عثمانَ..

والنقشَ البزنطيَّ على أبواب نهديْكِ..

وفوحَ المِسْكِ، والنارنْجِ.. من تحت السوالفْ..

آهِ.. يا سيِّدتي..

آهِ.. ما أشقى أدلَّاءَ المتاحفْ..

٥

نحنُ جرَّبنا الهوى قبلَ العشاءْ..

ثمّ جرَّبناهُ ما بعدَ.. وأثناءَ العشاءْ..

وسحقنا بعضَنا مثلَ طواحين الهواءْ..

ثمّ ماذا؟

إنَّني أعلم عن جسمكِ ما يجهلُهُ

كلُّ أصحاب الكراماتِ..

وكلُّ الأولياءْ..

وأنا أعلمُ بالتفصيل يا سيِّدتي

كلَّ وادٍ فيهِ،

أو سنبلةٍ..

أو نبع ماءْ..

هكذا يفعل كلُّ الأغبياءْ..

٦

إرفعي الأغطيةَ البيضاءَ..

فالحرُّ شديدْ..

وفمي ممتلىءٌ بالسَمَكِ الميِّتِ.. واللحمِ القديدْ

لم يعُدْ يبهرني شيءٌ..

ولا يدهشني شيءٌ..

ولا أدري إذا كنتُ شقيًّا.. أم سعيدْ

فلقد أدمنتُ أيَّامَ البَطالَهْ

أنا لا أفعلُ شيئًا..

غيرَ تبريدِ الزجاجات.. وتدخينِ السجائرْ

أنتِ لا تدرين شيئًا..

غيرَ تقليبِ المجلَّاتِ.. وتقليمِ الأظافرْ

ليتنا نفتحُ يا سيِّدتي إحدى الستائرْ..

فأنا اشتقتُ لأخبار العصافيرِ..

وأخبارِ المَطَرْ..

وأنا اشتقتُ كثيرًا..

لنداءاتِ الصواري..

ودهاليزِ القطارات..

وأوراقِ السَفَرْ..

وأنا اشتقتُ كثيرًا.. وكثيرًا..

لمظلّات المقاهي..

ولأضواء الدكاكين.. وأصوات البَشَرْ

ليتنا نفعلُ شيئًا..

قبل أن يذبحَنَا سيفُ الضَجَرْ..